سيف المُعيق

مسقط رأسي داخل إحدي غرف كلية التربية الرياضية، مراهق صغير، لم يتجاوز السابعة عشر بعد، رغم حداثته يتخيل من يراه أنه رياضي عتيق، عريض المنكبين، مفتول العضلات، قوي الشكيمة، يقف بكل قوة واعتداد متباهيا بقوته، عيناه الخاويتان انعكس فيهما وهيج نيران أتت من قاع عميق، لهفة وشوق لالتحاقه بالكلية التي حلم بها سنين عددا.

"مستحيل نقبل ورقك.. إنت كده كده هتسقط في اختبارات الجري".. لطمة قاسية من إلة البيروقراطية عند المصريين أعادت الفتي الحالم إلي وعيه، إنسان قعيد، لا أعلم لماذا لم أهتم بتلك الملاحظة التي يراها البعض ليس لها قيمة، لكنني تذكرت أن هذا البعض لا يمت لمجتمعاتنا المريضة بأي صلة.

استدار الفتي بكرسيه المتحرك ليغادر الغرفة مطأطئ الرأس، أرخى عينيه السوداوين إلى الأرض، أمسك عن الكلام، سيطر الحزن على قسمات وجهه الشاحب، أضحي عجوزًا وليس فتي صغير، ليس ذنبه أنه قعيدًا لم تطأ قدمه أرض في حياته، لماذا يحرمونه من حُلم سيطر عليه منذ أن ولد، لماذا يرفضون منحه

فرصــة أن يفــي بعهـده الــذي قطعــة علــي نفســه، أن يثبــت لقرنائــه وأهــل وجيعتــه أن الإعاقــة ليســت إعاقــة جســد، ولكنهــا إعاقــة إرادة وإصــرار وتحــدي، واليــوم اكتشــف للإعاقــة توصيــف رابــع أصــاب هــذه البلــد، إعاقــة الفكــر.

قــد تعتقــدون أن هــذا المشــهد مــن وحــي خيــال المؤلــف كمــا قــد يظــن البعــض، ولكنــه كالعــادة ظــن مــن النــوع الأثيــم، لقــد شــب الفتــي وأصبــح رجــلاً يافعــاً يرفــع اســم مصــر عاليــاً، منــذ ســنوات حكــم عليــه إلــه البيروقراطيــة بالعجــز، وأنــه مــن المســتحيل أن يُصبــح بطــلاً رياضيــاً، ولكنــه اليــوم يمكنــه أن يصفــع هــذا الكائــن علــي خديــه، فقــد أضحــي اليــوم بطــلاً أولمبيــاً، يحصــل لبــلاده علــي إحــدي الميداليــات الأوليمبيــة.

●●●

اكتــظ رصيــف محطــة قطــار محافظــة المنيــا بإنــاس يودعــون أبنائهــم المهاجــرون إلــي مصــر، لــم يكــن علــي الرصيــف موطــئ قــدم، الجميــع ينتظــر تحــرك القطــار بالباحثــين عــن "لقمــة عيــش" في محروســة قاهــرة المُعــز، فجــأة وقبــل أن يتحــرك القطــار، انطلــق شــاب وســط حشــد مــن النــاس محــاولاً اختــراق الصفــوف للحــاق بــه، لــم يبالــي بإعاقــة قدميــه، قاتــل كثيــرًا مــن أجــل الوصــول إلــي القطــار، يدفعــه البعــض مــن الخلــف بحثًــا عــن منفــذ يجعلــه يتقــدم ناحيــة أي مــن أبوابــه، حتــي نجــح أخيــرًا.

داخل العربة لم يجد الشاب مقعدًا للجلوس عليه، وكالعادة لم يرحم إعاقته أحد، لم تُجدي توسلات تنهيداته اللاهثة، ولا حتي عرق وجنتيه، فأشاح الجميع بوجوههم مستسلمين لنوم عميق، أو هكذا تظاهروا، فأطرق الفتي رأسه وانتحي ركنًا وجلس القرفصاء دافنًا رأسه بين ما بقي من ساقيه العاجزتين، متأسيًا علي حالة، وحياته التي يحياها في مجتمع لا يرحم، ولم يدعه يعيش كما يُحب.

وكأنها الكوابيس، راحت الذكريات والأحداث المؤلمة تهاجمه، تعبيرات وجهه واضطراب واحمرار عينية تنبئان بذلك، تذكر كيف عاني بإعاقته تلك طيلة حياته، تذكر كيف كان يعامله الجميع في الجامعة، وعندما تخرج من كليته واعتقد أن الدنيا قد تبتسم له، خذلته تلك الدنيا وأدارت وجهها، بل وأصابته بصدمة نزلت علي رأسه كالصاعقة، صدمه جعلته يُدرك جيدًا أن إعاقة قدميه ستلازمه ما بقي له من حياة.

"إنت برجلك دي متنفعش تشتغل".. انتفض الشاب فزعًا بمجرد أن تذكر تلك الكلمة التي لازمته حتي بعد أن تخرج من الجامعة، تلك العبارة التي جعلته يخرج مضطرًا من قريته إلي المحروسة بحثًا عن أي وظيفة تناسب ظروفه، حبس الدمع في عينية ألمًا، أبي أن يحرره ليسيل علي وجنتيه حفاظا علي ما بقي

لـه مـن كبريـاء، فأسـلم جفنيـه لنـوم عميـق انتظـارا إلـي مـا ستسـفر عنـه رحلتـه إلـي المحروسـة.

تلـك أيضًـا قصـة أخـري ليسـت مـن نسـج خيـال المؤلـف، وان كان شـابها بعـض التعديـل بالتأكيـد، واحـدة مـن مئـات الحقائـق المؤلمـة التـي يعايشـها أصحـاب القـدرات الخاصـة في هـذا البلـد الامـين، في تجاهـل واضـح لأصحـاب تلـك القـدرات، رغـم مـا يحملونـه مـن عزيمـة تفـوق الأصحـاء، فذلـك شـاب تمكـن مـن التغلـب علـي إعاقتـه، بـل وتمكـن مـن حصـد عـدد مـن الميداليـات الأولمبيـة في عـدد مـن الـدورات.

●●●

ملوك الغباء.. عباقرة صغار